يجـب أن نتـفـــوق

في مختلف الصفات والخصائص والميادين

قال لي أخ كريم ونحن نتذاكر ما ينشر الحين بعد الحين في صحف الغرب ومجلاته من الطعن على الإسلام والدس الرخيص عليه :

– كم من المسلمين في كل دولة من دول الغرب يا ترى يملك من المعرفة بالإسلام ، والمعرفة بلغة الـــبلاد الـــتي يسكنها ، والقدرة على الكتابة بها ، ما يمكنه من دحض الافتراء ، وبيان الحقيقة –إن توفرت له الغـــيرة والرغبـــة .. وقليلاً ما تتوفر هذه الأيام !–

وفكرنا معاً واستعرضنا –في حدود معرفتنا– إمكانات المسلمين في بعض الدول فخرجنا من ذلك بمـــا لا يحـــزن عدواً ولا يسر صديقا

وليس يظهر نقص المسلمين وعجزهم في هذا المجال وحده ، ولكنه يظهر في مجالات عديدة أخرى عند الفحص .

لقد سألني صديق من الأصدقاء منذ أيام عن قصص إسلامية توجيهية يدفعها إلى أبنائه ، يتعلمـــون منـــها وهـــم يستمتعون ، وتربطهم بدينهم وتاريخهم ربطاً عاطفياً مع الربط العقلي ، وتجذبهم إلى مطالعتها فيقرؤونها بالرغبة الذاتية لا بالإكراه ..

فعددت لهذا الصديق ما أعرفه من هذه القصص فإذا هو شيء قليل يفرغ منه قارئه بزمن غير طويل ، فقـــال لي الصديق :

– ألا يوجد غير هذه الكتب ؟! لقد ذُكِرت لي فطلبتُها ، وفرغ بعض أولادي من قراءتها ، ولا أجد ما أقدمـــه إليهم من القصص الإسلاميّ الآن ، في الوقت الذي يجدون أمامهم من القصص الأجنبي ما لا يكاد ينتهي .

و لم أستطع مع الأسف أن أقدم للصديق السائل ما ينفعه في هذا المضمار .

وهذا كله في جانب صغير من الجوانب الفكرية والثقافية والأدبية ، فكيف في بقيـــة الجوانـــب ؟! ثم كيـــف في مجالات الحياة الأخرى مما لا أريد الآن أن أُعدِّد وأن أُفنِّد

الحق أن نقصنا نحن المسلمين في هذا العصر نقص كبير ، وقصورنا قصور كبير أيضا

ولقد تعودنا أن نبرر نقصنا وقصورنا باستمرار ، بإلقاء التبعة واللوم على الظروف ، وعلـــى الحكـــام ، وعلـــى الاستعمار والتبشير .. ولا شك أن كثيراً من التبعة واللوم يقع على الحكام المعادين للإســـلام ، وعلـــى الاســـتعمار والتبشير ، ولكن لا شك أيضاً بأن كثيراً من التبعة واللوم يقع علينا نحن المسلمين

إنّ هنالك كثيراً من الحاجات الحيوية ، والأمور الضرورية الأساسية للإسلام والمسلمين في هـــذا العـــصر ، ممـــا نستطيع اتخاذ الأسباب لتلبيته والنهوض به ، ولا يحول بيننا وبينه لو أردنا حائل من طغيان حاكم ، أو عدوان ظالم ، أو مقاومة عدو .. ولكننا مع ذلك لا نفعله على حيويته وضرورته ، لحوائل من أنفسنا التي استعبدتها الدنيا -وإن لم نعترف بذلك رسمياً- فلا ننبعث في الغالب بجد واجتهاد لما لا يوصلنا لمكسب مادي ، أو هدف دنيـــوي قريـــب ، ونلتمس لأنفسنا شتى المعاذير لتفريطنا بحق من حقوق الله عزَّ وجلَّ ، ولكنَّ هذه المعاذير كلها تزول إن صـــادف في الأمر المطلوب هوى النفس ، أو منفعة عاجلة من منافع الدنيا

إنّ الشاب من الشباب المسلمين الراغبين في إتمام دراستهم العالية عنده الاستعداد كلُّ الاستعداد لقضاء سنوات في الدراسة والبحث والكتابة لتحضير رسالة دكتوراه ينال بها اللقب والمنصب ، ولكنه -إلاّ من ندر- لا يكلف نفسه في سبيل الله مثلَ هذه الدراسة والبحث والكتابة في موضوع يفتقر إليه المسلمون أشدّ افتقار ، وينبني عليه وعلى أمثالـــه أخطر النتائج .

وأذكر مرة أنني كنت أتحدث في موضوع من الموضوعات الأساسية التي كانت وما زالت تمسّ الحاجة إلى الكتابة فيها مع عالم مسلم من المؤهلين باختصاصهم وإمكاناتهم لدراسة هذا الموضوع ، والكتابة فيه بمـــا يفيـــد المـــسلمين ويخدمهم خدمة جُلَّى

وكان هذا العالم من رأيي في أهمية الموضوع وضرورته القصوى

وقلت له :

- إذا كان رأيك كذلك يا فلان فلماذا لا تتجرد لدراسته والكتابة فيه بما يرضي الله عزَّ وجلَّ ، ويحقـــق هـــذه الخدمة الكبرى للإسلام والمسلمين ، وهو لا يحول بينك وبين عملك الوظيفي ، وقد وسَّع الله عليك فلا تحتـــاج إلى فائض وقتك في الكسب ؟ ..

فاعتذر هذا العالم في ذلك الحين بأعذار ما ظننت معها أنه يمكن أن يجد وقتاً لهذا العمل بحال مـــن الأحـــوال .. ولكن ما كان أشدَّ دهشتي عندما رأيته بعد وقتٍ يسيرٍ يجد وقتاً أفسح لعمل آخرَ لا يعود على الإسلام والمـــسلمين بأيِّ خير من قريب أو بعيد ؛ ولكنه يعود عليه بكسب مادي كبير .

وأعود إلى أصل الحديث قبل أن يتشعب بنا أكثر ، فالحديث -كما يقولون- ذو شجون

أَصْلُ الحديث يصلُ بنا إلى قصورنا وعجزنا -الذي يمكننا بالطبع ويجب علينا أن نتخلص منه- وإلى ضرورة عدم التهرب من مسؤوليتنا أو إلقاء التبعة واللوم على غيرنا فيما تقع علينا التبعة فيه ، أو فيما نشارك في حمل تبعته علـــى الأقل

إنّ الصدق في مواجهة أنفسنا ومواجهة واقعنا والاعتراف الجريء بمسؤوليتنا شرط في كل تغيير حقيقي لما نحـــن عليه ..

وأنا أظن لو سقط في بلادنا كل حكم محارب للإسلام ، وزالت من أمامنا كل عقبة خارجية تحول بيننـــا وبـــين العمل -ونحن على هذه الحال- لما أمكننا أن نصنع لأمتنا وبلادنا وسائر البشر ما يوجب علينا الإسلام أن نـــصنع .. فالمشكلة إذن لا تكمن في ظروفنا الخارجية المحيطة بنا بمقدار ما تكمن فنيا ، بل إنّ ظروفنا الخارجية لا يمكن أن تتغير إلاّ إذا تغيرنا نحن وملكنا أسباب التغيير لما حولنا

وليكن معلوماً تمام العلم أننا لن نكون قادرين على تبليغ رسالة الإسلام في عالمنا وعصرنا كما ينبغي ، ولن نكون قادرين على أن نحكم مجتمعنا ومستقبلنا بالإسلام إلاّ بعناصر متفوقة إلى أبعد حدود التفوق في مختلـــف **الـــصفات ، والخصائص ، والميادين** .

يجب أن تنشأ فينا وتنمو بيننا عناصر عالمية المستوى في كل مجال من المجالات ، ليكون للإسلام مكانه القيـــادي المؤثر في عالمنا .. وإلاّ بقينا دون مستوى مهمتنا ، ودون مستوى التأثير في عالمنا ومجتمعنا ، وفي حاضرنا ومستقبلنا .. واضطررنا إلى مزيد من الهامشية والعزلة والخضوع والضياع

وهذا الهدف الكبير الذي نرسمه ، والمطلب الجليل الذي نطلبه ، لا يمكن أن نصل إليه إن تجاهلناه وتجاهلنا قصورنا الرهيب عنه ، كما لا يمكن أن نبلغه بالأماني وبأحلام اليقظة إن اعترفنا به وتطلَّعنا إليه ..

لا بدَّ من جهود خارقة تبذلها الطلائع الإسلاميّة في كل مكان وكل مجال لتتجاوز واقعها الحـــالي ، ولتـــصل إلى مستوى إسلامها الحق ، ومستوى مهمتها التاريخية العظيمة ، ومستوى عالمها وعصرها الذي تعيش فيه ، وليتحـــول المسلمون بها من التبعية إلى القيادة الحقيقية لمجتمعهم وللعالم .

وهذه الجهود الخارقة الدائبة الهادفة الخالصة ، لا تكون إلاّ بإيمان صادق يصغِّر عند أصحابها الدنيا وما فيها مــن المكاسب والمغريات ، ويهوِّن عليهم المشقات والتضحيات ، ويحفزهم دوماً إلى استفراغ غاية الجهــد في طاعــة الله ومرضاته عزَّ وجلّ .